.. مأساة طبيب عظيم ..

رحل عن عالمنا أحد علمائنا الجهابذة الأجلاء، وعندما يختطف الموت عالم من العلماء فإن السماء تبكى عليه قبل أن يضمه الثرى إليه.

لا جَـرَم – إذن – أن اتفـق العلمـاء علـى أن قبض العلـم هو أحد علامات السـاعة الصغرى!.

يقول الحديث الشريف: «يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج».

كما يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يقبض العلم إنتزاعا بنزعه من العبـاد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسـا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلو وأضلوا».

قـال النووى: هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم ليس هو محوه من صدور حفاظه ولكن معناه أن يموت حملته ويتخذ الناس جهالا يحكمون بجهالتهم فيضلون ويضلون.

فى مأسـاة أشبه بالمآسـى التى وردت فى أدب الإغريق، هى كالليالى الدهم، والعشايا الجهم، رحل عن عالمنا الأسـتاذ الدكتور العالم الجليل «فؤاد ثاقب» الذى عرفته منذ نيفٍ وعشرين عاما، وهو لما يزل بعد فى شرخ شبابه وفى أوج عطائه.

كان يعـود ابن عمتى وزوج شـقيقتى المهنـدس «محمد عبد الله بـركات» وكيل وزارة الإسـكان، الذى تليف الكبد منه وأصابه فى مقتل حتى أوشك على الرحيل وهو فى ربيع عمره.. وإذا بالمرحوم الشهيد «فؤاد ثاقب»، بفيض علمه، وعميق فكره ينهض على علاجه بصـبر وأناة، وبصر وبصيرة، حتى عادت نضرة الوجه إليه، وقد كانت مسـتعصية عليه. وزكا منه العود الذى كان قد أضمحل.. وتأبى عليه أن يعود!.

كنـت أرى فى الدكتور «فؤاد ثاقب» النطاسـى البارع، وقدرت علمـه وبادلنى تقديرا بتقدير.. وكان رحمة الله عليه، كلما يرى بثاقب فكره، القلق يعتورنى على زوج شـقيقتى والهلع والحزن ينتابنى، يبرتسـم على وجهه النبيل ابتسـامة طيبة.. ثم يردف قائلا لى: «أنـت رجـل عظيم.. ياليت لى قريب مثلك». قالها لى وهـو الرجل العظيم فى علمه، وفى خلقه وفى وفائه للناس أجمعين.

ولقد نشـرت جريدة الأهرام مأساة رحيل العالم الجليل بهبوطه المفاجئ من المصعد وهو ينقذ شـقيقتيه من مغبة السـقوط منه، وذكر – كاتب التحقيق – أن السـيدة البارة زوجته هُرعت إلى مكان الحادث، وهى تذرف الدمع السخين، تجأر بصوتها الذى يعلوه الأنين: «أنتـم لا تعرفون فؤادا»!.. ونقول – صبرا جميلا – أيتها الزوجة الوفية «فإنا لله وإنا إليه راجعون».

نحن جميعا نعرف فؤادا.. متألقا فى فكره.. متعمقا فى علمه.. كريما فى عطائه.

❑❑❑

obeikandl.com

بل.. عندما تصبح القضية.. امـرأة.. !!

أحسن الصديق المستشار مصطفى الكومى فى مقاله القيم المنشور فى هذه الصفحة الغراء بتاريخ ١٣/١٠/١٩٩٨ بعنوان «عندما تصبح المرأة».. قضية؟!.. والذى نعى فيه على المرأة المصرية انشـغالها بأمور لا تغنى ولا تسـمن من جوع وإغلاقها لمدرستها (مدرسة الأمومة)، وتركهـا لأولادها (حتى شـد منهم الدين، وضاع اليقـين)، وها هى ذى أخيرا وليس أخرا – تجهد الرأى العام، وتشغل نفسها بالمطالبة بتوسيدها كرسى القضاء.

ولـو سمح لنـا الزميل الأديب أن نقدم كلمة (قضية)، مضافـا إليها الألف واللام، وأن نؤخر كلمة (امرأة)، فما بين (تقديم)، و(تأخير) تبزغ الحقيقة واضحة جلية، لا لبس فيها ولا غموض، فى هذا الزمن الردئ العضوض؟!.. فلقد أصبحت (القضية) بالفعل فى بلادنا، قولا وعملا.. امرأة؟!.

والذى لا مرية فيه، أن المرأة المصرية ومنذ أن هبط عليها كتاب (تحرير المرأة) لقاسـم أمين فى بداية هذا القرن، وهى تعتقد أن لها حقوقا قد ألف بخصوصها كتاب وأن هاتيك الحقوق لما تزل فى حاجة إلى المزيد من الكلمات، وأن يكتب فيها المجلدات؟!.

ولقد أصبح الناس – فى مصر – وأمسوا خلال شهور طوال ولا شغل لهم إلا أحقية المرأة فـى تولى منصب القضاء الذى أحجم عنه الثقات مـن الفقهاء، والزمرة من العلماء، تحرزا من الخطأ – حتى اليسير منه – فيما لو أصبحوا قضاه خشية، وخوفا من عقاب الله، وفى سـبيل هذه الطِلبة، وتلك الرغبة، انشـغلت الدولة كلها، وأجهزتها جميعها بهذا الأمر، الذى ملأت به المرأة من الصحف الأنهار، وهى تصيح ليل نهار، وعبر الإذاعة المسـموعة والمرئيـة وعن طريق المحافل والنـدوات، وعقد المناظرات، وبصوت قوى جهورى. تجأر، أريـد أن أكـون قاضية، (وأريد حلاً)، لمـا أبغيه، وأطمح إليه، وأطمـع فيه، ومع يقينى (بـأن طالـب الولاية لا يولى)، فأنا من حقى القضـاء فهل تمنحوا لى هذا الحق، يجب أن ترهفـوا أسماعكم لهذا النداء، فهو الرجاء ولا شـئ دونه على البال، فقد أصبح وأضحى، هو السؤال؟!.

ولقد تساءل الزميل المفضال: لماذا تتمسك المرأة وتصر على العمل بالقضاء؟. ولماذا تتمسك المرأة وتصر على العمل بالقضاء؟. ولماذا لا تطالب مثلا – بأن تعمل عمدة، أو شـيخ البلد،

أو شـيخ خفراء.. أو فى المناجم والمحاجر وأعمال البناء؟. ونقول له: هذا هو دأبها، فكل ممنوع لديها مرغوب، ومطلوب؟!.

وإذ هدأت اللُجة، وخمدت الضجة، بعد أن هدآ خاطرها، الكبار، واستماحها العذر، الصغار، حتى عادت عقيرتها ترتفع مرة أخرى مطالبة، وكما نشرت الصحف (بحقها) فى السـفر والترحال، وشـد الرحال، دون إذن من زوجها، أو من غيره من الرجال؟!. ناهيك عن (حقها) كذلك فى أن تكون العصمة ملك يديها، وأن تُؤْجر وتُعوض إذا ما أقدم الرجل على طلاقها دون رغبتها .. ولعلها أضافت، والخروج أيضا بدون إذنها؟!.

والـذى لإلجاج فيه أن قانون الأحوال الشـخصية (المعدل) الجديد قد منحها مالم يكن فى حسبانها، أو يَرِد على ذهنها؟!، ولو عاش (آشلى مونتاجو) الذى قال ذات يوم بعيد: إن (المرأة أكثر عبقرية من الرجل) لتأكد مع إعتراض الجميع على ما ذهب إليه، من صدق قولتـه، وصحة نبوءته، مما حصلت المرأة المصرية، وتحصلـت عليه؟!.. وقد يرى بعض الغيارى من الرجال أن حقوقهم بدأت تقل وتضؤل بالمقارنة بما حصلت عليه المرأة المصرية مـن حقوق، فيقدموا على تكوين (جمعية) للمطالبة بحقوقهم، ورد اعتبارهم، وبهذا يكون الميزان قد اعتدل، بعد أن أصابه الخلل؟!.

ويا ليت المرأة المصرية تقرأ وتسـتقرئ قولة (نابليون بونابرت): إن المرأة التى تهز المهد بيمينهـا، تهز العالم بيسـارها وأيضا قولتـه: على المرأة أن تعلم أن الشـئ الوحيد الذى (تبدعه).. هو طفلها؟.

❑❑❑

تاريخنا.. هل يكتب من جديد ؟!

التاريخ هو عرض الإنسانية «فتاريخ الأمم والشعوب هو الصفحة الباقية لها على مر الأزمان والعصور»! كلما تذكرت هذه العبارة التى قالها الفيلسوف (شوبنهور) كلما أمنت بأن تاريخنا العربى برمته يجب أن يكتب من جديد فالذى لا مراء فيه أن هذا التاريخ قد زيف المزيفون فى الماضى الكثير من حقائقه ووقائعه حتى التبس الأمر على أبناء هذا الجيل، بل والأجيال التى سبقته أيضا. فلم يعد الكثيرون يعرفون الصالح من الطالح، والمخلص من الخائن، والصديق من العدو! وها هو ذا تاريخ المماليك فى مصر يختلف فيه المؤرخون اختلافا بينا ،فمنهم من قال إن عصر المماليك هو أزهى عصور مصر، والبعض الآخر ارتأى فيه أسوء العصور، وإنه كان عصر تردت فيه مصر إلى أسفل سافلين. وكذلك تاريخ الثورة العرابية فقد تباين فيه الكثيرون تباينا جعل تاريخ هذه الثورة المجيدة يتلبس أمره على كل من قرأ هذا التاريخ.

فعرابى مرة هو مفجر أول ثورة فى عصر مصر الحديث.. ومرة أخرى هو الجاهل الجهول الذى قذف بمصر إلى أتون الجحيم حتى أن أمير الشعراء أحمد شوقى هاجمه بضراوة إذ قال فيه، بعد عودته من المنفى:

صغير فى الذهاب وفى الإياب أهذا كل شأنك يا عرابى؟

والزعيم مصطفى كامل لم يخل الأمر معه من مثل هذا، فهوالذى أراد أن تكون مصر تابعة لتركيا وأن هذه التبعيه تفقد مصر – لو تمت – استقلالها وحريتها.

ولم يخل تاريخ ثورة مصر الكبرى عام ١٩١٩، ولا سيما زعيمها سعد زغلول، حتى إن ميثاق العمل الوطنى الذى وضع أيام الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» قد اتهم سعد (أنه ركب قمة الموجة الثورية يقود النضال الوطنى الذى لم يهن ولم يضعف) أى أن واضع الميثاق قد نزع بهذه المثابة الزعامة عن سعد زغلول، وجعل منه قائدا انتهازيا لم يكن منه إلا أن امتطى موجة هذه الثورة الخالدة.

وكذلك تاريخ «مصطفى النحاس» هذا الزعيم الأمين الذى بذل حياته فى سبيل توطيد ركائز الديمقراطية على أرض مصر، وكانت زعامته للوفد زعامة خالصة لأجل الله والوطن.

والرئيس «محمد نجيب» هذا الزعيم الوطنى الذى التف شعب مصر حوله وطوقه بمحبة عارمـــة، فقد شـــوه تاريخه، ويكفى أن دوره فى ثـــورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد محى محوا من كتب التاريخ إلى حين قريب.

وجاء الزعيم «جمال عبد الناصر» فلم ينج هو الآخر من بعض التلفيقات التى وجهت إلى زعامته بينما أن مآثره على مصر لا ينكرها إلا جاحد مهما كانت الأخطاء التى وقع فيها.

أما الزعيم «محمد أنور الســـادات» الذى بذل حياته فى ســـبيل وطنه فقد استشهد على يد طغمة فاغتالته غيلة وغدرا بعد أن قاد حرب أكتوبر المجيدة، وكانت له اليد الطولى فى إجلاء المحتل الإسرائيلى من بقعة عزيزة على مصر هى أرض سيناء.

وإذا كان تاريخ أية أمة لا يخلو. كما قال (نابليون) من الأكاذيب.

فتاريخنا العربى يمتلئ بما – لا عد له ولا حصر من الزيف والأباطيل ناهيك عن الأوهام التى لا أساس لها؟!.

ماذا إذن لو قامت الدولة بتشكيل لجنة خاصة من علمائنا الثقات، تتولى كتابة تاريخنا كتابة صادقة أمينة، تزيل الغشاوة من على الأعين، وتمسح عن جبين أمتنا تاريخا لا يمت إلى العلم أو الواقع بأدنى صلة من الصلات ..؟!.

❑❑❑

تَراجُع اللغة العربية.. تَراجُع للنعرة القومية ؟!
«رسالة إلى وزير التعليم»

كم عز أقوام بعز لغات!.

آبدة من الأوابد التى تذهب فى أسماع الزمن مذهب الخلود!.

فقد علت إنجلترا بكلمات. دكنز. وكارليل. ومؤلفات شكسبير.

وارتفعت فرنسا بتواليف. راسين. وفولتير. وموليير، وسمقت ألمانيا بليبنتس. وجيته. وشيللر، وسمت روسيا بتولستوى. وجوجول. ومكسيم.

وعزت مصر، والأمة العربية. بالقرآن الكريم. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [سورة طه – الآية ١١٣] (صدق الله العظيم).

واللغة العربية هى لغة الضاد. اللغة الشاعرة. كما أطلق عليها أستاذنا العقاد، وأفرد لها كتابا، إذا تقرأه تراه إنسانا، وهى اللغة الضاربة فى القدم. الموغلة فى العراقة طوال خمسة عشر قرنا. خُلقت لغات سادت، ثم بادت. والعربية هى العربية لم تمح، ولم تتغير. أو تتبدل. فقد حوت على أدب لا تحويه لغة أخرى، كما عبر رجل الفكر والسياسة الدكتور عبد الوهاب عزام، أدبا، موطئا ما بين الصين وبحر الظلمات، ولم يعرف فى أداب العالم. قديمها. وحديثها، أدبا اتسعت به المواطن، هذا الاتساع، وامتدت به الأعصار هذا الامتداد، ثم هل عرف العالم أدبا أعظم من أدب العرب سعة رقعة، وطول مدة وجمالا وجلالاً؟، وفى الأدب العربى سير رجف بها الزمان، وأقر بها الحدثان.

لا جرم – إذن – سادت اللغة العربية، وتحدث بشأنها الثقلان، الإنس والجان، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾ [سورة الجن – الآيات ١– ٢]

واللغة أى لغة، هى وعاء الفكر، وإن شئت قل هى الفكر وهى الذكر، وهى ذاكرة الأمة، وشاحذة الهمة، وهى الوشيجة بين الماضى والحاضر، وهى قوام الشخصية، وتراث الإنسانية.. ثم هى كما عبر الناقد الفرنسى «بوفون» هى المرء ذاته، ومن نافلة القول أن نقول إن قصيدة عظيمة، أو رواية جيدة يكتبها أديب، أكثر إفادة وأوفى دلالة من حشد من المؤرخين بأكداس كتبهم التاريخية، وأين خمسون مجلدا من المواثيق ومائة مجلد من

الوثائق، كما تساءل سائل، فى مقابل مذكرات تشيللى، ورسائل القديس بولس، أو ملهيات أو يستوفان؟. بل أين الملوك والأباطرة بجانب أسماء الغزالى والجاحظ والأصفهانى؟.. وقد صدق من قال «أديب واحد» خير من «ألف صيدلى»؟!.

وقد استمرت اللغة العربية لغة للتعليم العالى فى مصر منذ عصرمحمد على إلى أن أناخ الإنجليز على مصر بكلكلهم عام ١٨٨٢ إذ بدأت عملية تحول كبرى، أشبه بتحويل مجرى النيل، بإحلال اللغة الإنجليزية، محل اللغة العربية، بادئين بأهم مدرسة، من المدارس أنذاك، وهى مدرسة الطب بعد مضى أقل من خمس سنوات على بدء الاحتلال للبلاد، (قسرا) على العباد.

وبدأ الليل يرخى سدوله، على هذه اللغة العظيمة، وما بين تفاؤل وتشاؤم، عبر عن الأول شاعر النيل حافظ إبراهيم، إذا رثاها بأبيات، تنزف الحسرات قال فيها:

رَجَعْتُ لنفْسِى فاتَّهمتُ حَصاتِى ... ونـاديْتُ قَوْمِى فاحْتَسَبْتُ حياتِى
وَلَـدتُ ولَّـا لـم أجِـدْ لعرائسـى ... رِجـالا وأكفـاءً وَأَدْتُ بناتِـى
أيُطربُكُم من جانِبِ الغَربِ ناعِبٌ ... يُنـادى بوَأدى فى رَبيعِ حَـياتـى
سَرَتْ لُوثَةُ الإفْرَنج فيها كمَا سَرَى ... لُعابُ الأفاعِى فى مَسيلِ فُـراتِ
فجاءَتْ كثَوْبٍ ضَمَّ سبعين رُقْعـةً ... مشـكَّلـةَ الألـوانِ مُختلفـاتِ

وجاء خليل مطران بمثل الاتجاه الثانى إذ فى ندوة تكبكب حولها الغيورون على هذه اللغة. تنبأ جبران بأن اللغة العربية سوف تنهض من كبوتها وتصحو من رقدتها وتكون هى الموحد للميول السياسية والمنازع اللغوية وتلم شعث النزاعات العربية.

وخلال النصف الأول من هذا القرن الذى أوشكت شمسه على المغيب، قيض الله للغة العربية. عمالقه. أفذاذا من محبى اللغة العربية وروادها علت بهم وعلوا بها، ورفعتهم وارتفعوا بها، أمثال عباس محمود العقاد، وطه حسين، وزكى مبارك، وميخائيل نعمة، وإيليا أبو ماضى، وأحمد حسن الزيات. وعلى الجارم، ومحمد فريد أبو حديد.

كتبوا وأجادوا وأبدعوا وأفادو، وامتازوا بأسلوب عربى قويم مستقيم. أفصح تماما على قدرة هذه اللغة واستيعابها لكافة اللغات.

والآن وقد تراجعت اللغة العربية تراجعا بينا. بين كتابنا وعلى ألسنتنا واللغة العربية (بنت المشافهة)، وفى مدارسنا وجامعاتنا. وحل محلها لغة لا هى عربية، ولاهى عامية، بل هى خليط من هذا وذاك حتى أمسى الخطر يطبق على لغة الضاد، من كل حدب

وصـــوب، وباتت اللغة العربية، تعيش بين أبنائها وأهلها وذويها فى أيام جهم. وعشـــايا دهم. بســبب غياب غـيرة الموجهين لها، والقائمين عليهـــا، وكادت أن تصبح هذه اللغة العظيمة، اللغة الثانية فى بلادنا، مما جعلها تعود القهقرى مرة أخرى تاركة المجال لكل من هب ودب لكي يبعث بها وبتراثها.

وإننـــا ندق ناقوس الخطر لكل عاشـــق لهــذه اللغة، ولكل أمين عليهـــا. من مغبة هذا التراجـــع. وياليتنـــا نعود. إلى إقامة النـــدوات والمنتديات اللغوية مـــن أجل الحوار الأدبى والحوار اللغوى ويجب أن يسبق ذاك حفظ القرآن الكريم بمناهج مقررة على تلاميذ المرحلة الابتدائية وحتى التخرج من الجامعة وجعل الدين مادة أساســية فيها، رســوب ونجاح، ولهـــا ثواب وعقـــاب، مع إعداد مدرس اللغة العربية إعدادا تربويا، حيث إن مدرس اللغة العربيـــة ينهـــض على تدريســـها دون أن يكون مؤهلا لذلك، وذلك كله مع تبســيط قواعد النحو وخاصة فى المراحل الأولى، والبعد عن الخلافات اللغوية، والنحوية، مع رفع درجة النجاح فى اللغة العربية، اللغة القومية التى إن هى تراجعت فقد تراجعت النعرة القومية، وضاعت النعرة الوطنية للبلاد.

فإما حياة تبعث الميت فى البـلـى وتنبت فى تلك الرمـوس رفاتـــى
وإمـا ممـات لا قيامـــة بعــــده ممـــات لعمـرى لـم يقس بممات

فهل نكرم أنفسنا.. ونحدب عليها من خلال حدبنا على لغتنا.. (الجميلة). ونصونها. من الضياع والهوان.. قبل الأوان؟.

❑❑❑

رؤيتى للثورة المصرية ٢٥ يناير ٢٠١١..
والمأمول منها..

من – مذكراتى الشخصية – والتى أدأب دوما على أن أسجلها على صفحات أحتفظ بها منذ سن باكر فى حياتى أعود إليها وأستخرج منها ما خطه يراعى عن ثورة ٢٥ من يناير ٢٠١١.. أرانى قد كتبت: لم أكن أحسب – وكذلك غيرى – أن مصر تموج بهذا الكم والكيف من الفساد والإفساد؟

وكان لابد من قارعة!.. قارعة تخرج مصر من الظلمات إلى النور ضد من سلب العزة واستلب الكرامة.. وانتهب القوت وأصاب مصر بالقنوط. كان شكسبير يقول: «أخذت كرامتى أحذت كل شئ».

وبعد خمول مديد استمر زهاء الثلاثين عاما حكم مصر بقبضة من حديد.. قيض الله لمصر فتية آمنوا بربهم فزادهم الله إيمانا فانتزعوا كرامة مصر من براثن وحوش ضارية أرادوا ابتلاعها، ومن أيدى طغاة متجبرين لم «يخافوا» ظلما ولا «هضماً» وكانت تجارتهم الرابحة فى سوق الحكم وسوق الاستغلال عملتها من المال وبضاعتها – ومن أسف –.. من الرجال.. استبدلوا الثورة بالثروة.. والنخوة بالشهوة.. والحق بالقوة وبزغت ثورة الشباب فنزعت أستارهم وكشفت خبيئتهم فأعادت العزة والفخار إلى العباد وأحيت الأمل.. الذى كان قد ولى وغابا.

ثورة ٢٥ يناير ثورة فتية نقية بيضاء أحاطها شعب مصر جميعه بخالص الدعاء فمضت فى طريقها المرسوم وقدرها المحتوم.. وياله من قدر؟!.

أراد الله به خيرا لمصر فبعثها من مرقدها عزيزة الجانب وضاءة الجبين وستظل إن شاء الله كذلك بعد أن عاشت مصر فى متاهات الشرود بيد كل شيطان مريد حتى صعقه الموت المبيد بعدما روع الناس بالفتك والبطش العنيد.

لم تكن ثورة الخامس والعشرين من يناير كغيرها من الثورات فلم تكن على غرار ثورات الشباب التى هبت رياحها على أوربا وأمريكا ولم تكن كثورة فرنسا عام ١٧٨٩ التى قامت من أجل الإخاء والمساواة وخضبت أرض فرنسا بدماء ضحاياها.. ولم تكن كذلك كثورة عرابى أو سعد زغلول أو جمال عبد الناصر فهؤلاء القواد العظام ثأروا من أجل تحرير

وطنهـم من ربقة الاسـتعمار الأجنبى.. بيد أن هذه الثـورة العظيمة ثورة ٢٥ يناير اندلعت ضد «الاسـتعمار الداخلى» الذى أناخ على مصر بكلكلة فلم يترك لها حولا وطولا عبر ليل طويل بطئ الكواكب ألقى بظلاله وظلامه على حاضرها ومستقبلها وكاد أن يفقدها ذاكرتها .. والذاكرة هى مستودع الفكر الإنسانى.. وكما قالت المفكرة الإنجليزية «إلين ودنج» عالمة الفيزيـاء: «إن الموت يهون أمام فقدان الذاكرة وكاد اليأس يسـتبد بالمصريين جميعا الذى أمسوا غير قادرين على اليأس أكثر مما يئسوا.. وانبلج الفجر فمادت الأرض من تحت أقدام الطغاة وكشف الله أمر البغاة الذين عاثوا فى أرض مصر نهبا وسلبا وطغياً».

وإذا كان – التاريخ – قد سجل أن أول ثورة فى تاريخ الإنسانية قد شب أوارها من مصر عـام ٢١٥٠ قبل الميلاد فقد دون أيضا أنها كانـت ثورة كما عبر الحكيم الفرعونى «إيبور» أتت على اليابس والأخضر حتى أضحى كل مصرى فى هذا الزمن السـحيق يقول « ليتنى كنت ميتا.. على حين جاءت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ثورة إنسـانية أحيت اليابس وجعلت الأخضر يزداد اخضرارا وأخال أن من فى رمسه ينطق ويقول ليلتنى كنت حيا لأشهد هذه الثـورة التى جاءت لتعلم العالم – كما عـبر رئيس الولايات المتحدة «أوباما»: كيفية تغيير التاريخ بوسائل سليمة .. فلقد غير المصريون تاريخ بلادهم والعالم أجمع.

هنيئا لشباب الثورة.. وهنيئا لمصر بشبابها.. ورحمة الله على شهدائنا.. ولعنة الله على الظالمين.

لقـد انخرط أولادى فـى صفوف الثائرين فى ميدان التحريـر.. وكنت أتوجه إليه آناء الليل وأطراف النهار كى أشهد بنفسى ميلاد الثورة التى كانت لما تزل فى رحم مصر حتى مر على مصر الثمانية عشـر يوما التاريخية منذ ٢٥ يناير ٢٠١١ وحتى مسـاء الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١ يوم أعلن «عمر سليمان» نائب رئيس الجمهورية المعين حديثا من قبل الرئيس «تنحى محمد حسـنى مبارك عن رئاسـة مصر وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسـلحة لإدارة شئون البلاد» لحظة تاريخية فارقة لن أنساها من حياتى لقد ولدت الثورة وأصبحت كائنا بشـريا حيا يجب علينا جميعا أن نحوطها بالعناية والرعاية حتى تشـب عن الطوق ويزكو عودها وتضحى بشرا سويا.

لقـد أراد أعداء مصر أن يحرقوها كما أحرق الإنجليـز «عذراء اللورين».. «جان دارك» عام ١٤٣١م فاسـتبدوا بها ظلما وطغيانا حيث كان الاستبداد هو هوايتهم المفضلة فحرموها من نسائم الحرية.

لقد كذبوا على الشعب وأوهموه بأنهم يعملون لصالحه بينما كانوا هم يعلمون لطالحه وصدق الشعب كذبهم فالحكمة تقول:

«إن الناس مستعدون لتصديق كَذِبة سمعوها لألف مرة، أكثر من استعدادهم لتصديق حقيقة لم يسمعوها إلا لمرة واحدة منذ عام ١٩٨١ منذ حكم الرئيس السابق والبطالة تنتشر فى مصر وكذلك التدهور الاقتصادى والتراجع الملحوظ فى مستوى التعليم مع انتشار الفساد فى البلاد انتشار النار فى الهشيم».

فضلا عن أن مصر وهى ثانى أكبر دولة فى أفريقيا من حيث عدد السكان بعد نيجيريا وهى أكبر دولة فى الشرق الأوسط أصبحت من أفقر الدول فى العالم بالنسبة لمستوى دخل الفرد.

لقد زورت الإنتخابات.. وفتحت المعتقلات وزج الأبرياء داخل غياهب السجون.

وكان من ثالثة الأثافى أنه وفى عام ٢٠٠٤ أبرمت مصر أربعة عقود بموجبها تقوم مصر بتصدير الغاز الطبيعى لإسرائيل ويمتد العمل لهذه العقود حتى عام ٢٠٣٠ مما دعا المحكمة الإدارية بمصر إلى أن تصدر حكمها ببطلان هذه العقود وطالبت المحكمة الحكومة المصرية بإعادة النظر فى أسعار التصدير ولكن الحكومة لم تنفذ ذلك.

ولقد جادت قريحة الشاعر الفذ الأستاذ «فاروق جويدة» بما اعتمل فى قلوب الثائرين فقال:

«ارحل كزين العابدين وما نراه أضل منك
ارحل وحزبك فى يديك
ارحل فمصر بشعبها وربوعها تدعو عليك
ارحل فإنى ما أرى فى الوطن فردا واحدا يهفو إليك
لا تنتظر طفلا يتيما بابتسامته البريئة أن يقبل وجنتيك
لا تنتظر أما تطاردها هموم الدهر تطلب ساعديك
لا تنتظر صفحا جميلا فالخراب مع الفساد يرفرفان بمقدميك
إرحل وابنك فى يديك»

ومنذ إعلان شباب الفيس بوك عن ثورتهم على الظلم والطغيان ودعوة الشعب المصرى عبر الموقع الاجتماعية على الأنترنت مثل «تويتر ويوتيوت» ونحن جميعا عن بكرة أبينا

نترقب النهاية التى جاشت فى خواطرنا، إن رحيل هؤلاء الذين هانت عليهم مصر وأزلوا شعبها طوال عقود ثلاثة حتى أهل علينا يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ ـ فكان بداية النهاية لهـؤلاء الطغـاة الظالمين الذين حكموا مصر وكأنها بقرة حلـوب تدر لهم وليس لغيرهم لبنا سائغا للشاربين وكانوا هم الشاربون.. وجاء يوم ١١ فبراير ٢٠١١ – يوم الرحيل وقد كنت – آنذاك – أنا وأولادى فى قلب ميدان التحرير نحتفل بنجاح الثورة، ورحيل الجبابرة.. إذ بشاب يوجه حديثه إلى قائلا: «أننا سنقوم بتنظيف الميدان – ميدان التحرير»، فلا تنسى ياحاج أن تأتى مع أولادك غدا لتنظيف الميدان»؟!.

وهذه هى مصر..

قـرأت فى كتاب الأسـتاذ المفكر الفذ «أنيس منصور» فى كتابـه الجميل «وأنا اخترت القراءة» قالوا فى النكت الاقتصادية إن وزير اقتصاد هتلر واسمه هيلمار شـاخت (١٩١٧–١٩٧٠) ذهـب إلى – لبنـان – ويقال إلى مصر لإصلاح السياسـة المالية والاقتصادية. وقالوا إن الرجـل قـرأ وسمع وقيل له وفكر ثم عاد يقول: أنتم لسـتم فـى حاجة إلى أى إصلاح اقتصادى.. أنتم كده كويسين جداً». وهكذا كانت نظرة عالم إلينا.

وأعود إلى مذكراتى التى أدأب على تسـجيلها يوما بيوم منذ سـنوات طوال فأنقل منها عبـارة عميقـة قال فيها صاحبها: «طوبى لمن بادر عمره القصير فعمر به دار المصير، وتهيأ لحساب الناقد البصير، قبل فوات القدرة وإعراض النصير».

ومن هنا فإنه من المأمول من هذه الثورة الخالدة التى شـحذت الأسماع إلى الإصغاء إلى صوتها صوت الحق حتى إن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.. الرئيس أوباما.. دعا شعبه إلى أن يتعلـم من هذه الثورة السـلمية العظيمة.. من المأمول وقـد قضت الثورة على النظام الاسـتبدادى وتعقبت فلوله ووأدت صناع الملوك وهو عنوان الكتاب الذى شحذ فكرى وشد نظرى بما خطه مؤلفه «كارل إى. ماير» وقد ترجمته الدكتورة فاطمة نصر.

من المأمول من هذه الثورة أن تعمل على وصل الليل بالنهار بالعمل الجاد القويم المستقيم فى سـبيل نهضة مصـر.. بزيادة الإنتاج.. وغرس الفضائـل والقيم فى المجتمع المصرى.. قيم العدل والأمن والأمانة والرحمة والتسـامح والعلم والتفكـير واحترام الآخرين والصداقة والانتماء إلى مصريتهم بما يرفع اسـم مصر عاليا خفاقا بين أمم العالم.. فهى أقدم حضارة فى التاريخ.. ولا جَرَم.. أن تتبوأ مكانتها بين العالمين فى الحال وفى المآل.

ثورة عبرت جميع الأجيال.. وحققت الآمال..

حـذر منهـا العلمـاء، وتنبأ بها الكتاب والأدبـاء! ولكن – هكذا – الطغـاة البغاة – لا ينزلون عن كراسى حكمهم إلا بدك عروشهم دكا دكا.

فـى القصر الجمهـورى.. وكانت الوفود – آنذاك – تـترى – من كل حدب وصوب، وقد تكوكبت وتجمعت حول الرئيس السـابق «محمد حسـنى مبارك» تزف إليه مشاعرها – المغلفة بالنفاق الآثم، عقب نجاته من مؤامرة أثيوبيا الشـهيرة التى تربصت به وترصدته علـى الأرض الأثيوبية، تبغى مصرعه.. ولو نجحت فى تدبيرها لتحول «حسـنى مبارك» من بعدها إلى شـهيد تذرف الناس الدموع عليه.. ولكن الله أراد شـيئا آخر حتى لا يتحول الرئيس السـابق إلى معبـود لمصر تدبج فيه اليراعات، القصائد العصماء التى تشـيد بذكره وفضله.. فقد أراد الله أن يَخرج مبارك من حكم مصر بثورة شعبيةٍ غير كل الثورات منزوعا من دسـت الحكم الذى تقوقع فيه و تربع عليه بقسـر وظلم وطغيان طوال عقودٍ ثلاثة من الزمن كانت من أسوأ العهود وأظلمها على مصر بعد أن ظهر المخبوء، وقد كان مطمورا فى أديم الأرض.

نقول إن الرئيس السـابق عقب توديعه لثلاثة من علماء الأزهر الأجلاء استوقف أحدهم وأحسـب أنه فضيلة الشـيخ «محمد الغزالى» رحمة الله عليه، وطلب إليه أن يدعو الله له، لأنه مسئول عن إطعام ثمانين مليونا من المصريين حسبما قال.

وانفجر الشيخ «الغزالى» فى وجه الرئيس السابق مُغضبا، قائلا له: «لا تقل هذا يارجل.. أأنت الذى يطعم المصريين، إنك لا تستطيع أن تطعم نفسك، ولا غيرك، إنه الله هو الذى يطعم الناس ويطعمك»، علت الصفرة وجه مبارك واربد وجهه وهو كظيم!.

وإذا زاره فضيلة الشـيخ «محمد متولى الشعراوى» مع كوكبة من علماء الأزهر الشريف، وكانت قاعة الإستقبال تموج بجمع جامع ممن جاء يزجى التهنئة إليه – زرافات ووحدانا، وجه العالم الجليل حديثه إليه قائلا: إننى يا سيادة الرئيس أقف على عتبة حياتى لأستقبل أجل الله فلن أختم حياتى (بنفاق) ولن أبرز عنتريتى بإجتراء ولكن أقول كلمة موجزة: أريد أن تعلموا أن الملك كله بيد الله يؤتيه الله لمن يشاء وينزعه ممن يشاء فلا تآمر على الله لمُلك

ولا كيد على الله لحُكم لأنه لن يحكم أحد فى ملك الله إلا بمراد الله فإن كان عادلا نفع بعدله وإن كان جائرا ظالما قبحه الله فى نفوس كل الناس وأنا أنصح كل من يجول برأسه أن يكون حاكما أنصحه.. ألا يطلب الحكم، بل أن يكون مطلوبا إليه، فرسول الله قال : «من طُلب إلى شئ أعين عليه ومن طَلب شيئا وُكل إليه» ثم يمم وجهه إلى مبارك وأردف قائلا: «يا سيادة الرئيس آخر ما أحب أن أقوله لك، ولعل هذا يكون أخر لقاء لى بك، إذا كنت قدرنا فليوفقك الله، وإذا كنا قدرك فليعنك الله على تحملنا».

وقبلها بسنوات جد قليلة، وقد نما إلى علم الرئيس «أنور السادات» أن الشيخ «المحلاوى» إمام مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية قد أمعن فى نقده فأمر السادات بالقبض عليه هو ومن معه من رموز مصر الذين كانوا يعارضون حكمه ويناوؤنه من خلال اتفاقية «كامب ديفيد» والزج بهم جميعا فى غياهب الجُب، وفى خطبة له بالتلفاز المصرى قال الرئيس «السادات»: «إنه – أى الشيخ المحلاوى – مرمى زى الكلب فى السجن؟!»، ولم يتوان الشيخ «الشعراوى» عن إرسال برقية «للسادات» قال فيها: «يا سيادة الرئيس إن الأزهر لا يخرج كلابا، ولكنه يخرج علماء أفاضل ودعاة أمجادا».

انتقل الشيخ الشعراوى إلى الرفيق الأعلى ومرت السنون بطيئة متثاقلة وتوالت الأيام والنذر تتجمع حتى كونت سحابة سوداء فى سماء مصر وهلَّ على مصر يوم الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١ فعمت مصر المظاهرات الصاخبة بعد تأجج النيران فى الصدور وتجمعت الألوف المؤلفة فى ميدان التحرير ميدان العزة والكرامة وأحد الميادين الثلاثة التى دخلت التاريخ بالثورة العارمة التى كانت قد تأججت فى القلوب مطالبة «مبارك» أن يرحل، ورحل حاملا عصا حكمه على كتفه، بعد أن توسد سدة الحكم فى مصر زهاء الثلاثين عاما، غير مأسوف عليه.

ولم يكن أحد يدرى ومنهم كاتب هذه السطور على وجود هذا الكم والكم من الفساد والإفساد فى مصر ومع الإرهاصات التى أرهص بها بعض كتاب مصر وأدبائها من أن عهد مبارك فى طريقه إلى الزوال إلا أن أحدا لم يكن يصدق ذلك!.

وكان لابد من قارعة! قارعة تُخرج مصر من الظلمات إلى النور ضد من سلب العزة واستلب الكرامة.. وانتهب القوت، وأصاب مصر بالقنوط.. فبعد خمول مديد استمر زهاء الثلاثين عاما حكم مصر بقبضة من حديد.. قيض الله لمصر فتية آمنوا بربهم فزادهم الله

إيمانـا فانتزعـوا كرامة مصر من براثن وحـوش ضارية أرادوا ابتلاعهـا، ومن أيدى طغاة متجبريـن لم «يخافـوا» ظلما ولا هضما وكانت تجارتهم الرابحة فى سـوق الحكم وسـوق الاسـتغلال (عملتها من المال وبضاعتها – ومن أسـف –.. من الرجال.. اسـتبدلوا الثورة بالثروة.. والنخوة بالشهوة.. والحق بالقوة)، وبزغت ثورة شباب ٢٥ يناير بل ثورة الشعب المصرى بأكمله فنزعت أستارهم وكشفت خبيئتهم فأعادت العزة والفخار إلى العباد وأحيت الأمل.. الذى كان قد ولى وغابا.

ثورة ٢٥ يناير ثورة فتية نقية بيضاء أحاطها شعب مصر جميعه بخالص الدعاء فمضت فى طريقها المرسوم وقدرها المحتوم.. وياله من قدر؟!.. أراد الله به خيرا لمصر فبعثها من مرقدها عزيزة الجانب وضاءة الجبين وسـتظل إن شـاء الله هكذا بعد أن عاشـت مصر فى متاهات الشرود بيد كل شيطان مريد حتى صعقه الموت المبيد بعدما أن روع الناس بالفتك، والبطش العنيد.

لم تكن هذه الثورة التى بهرت العالم كله بسـلميتها ونقائها ،وإصرار شـبابها على قهر مـن ظلموهـم وافتأتوا على حقوق وطنهم فـى الحرية والديمقراطيـة والعدالة الاجتماعية التى غابت ردحا طويلا من الزمن مثل الثورات التى عرفتها أوروبا فى القرن الثامن عشـر والحـركات الليبرالية والقومية فى أوروبا فى ذلك القرن مثل ثورة اليونان والنمسـا وألمانيا وإيطاليا وكذلك ثورات أوروبا الشرقية عام ١٩٨٩، وثورة أوكرنيا المعروفة بالثورة البرتقالية عام ٢٠٠٤.

ولم تكن ثورة الخامس والعشرين من يناير – كذلك – كغيرها من ثورات الشباب التى هبـت وتهب رياحهـا على أوربا وأمريكا بين الحين والحين، ولم تكن كثورة فرنسـا عام ١٧٨٩ التى قامت من أجل الإخاء والمساواة وخضبت أرض فرنسا بدماء الأبرياء.. ولم تكن كذلك كثورة عرابى أو سعد زغلول أو جمال عبد الناصر فهؤلاء القواد العظام ثاروا من أجل تحريـر وطنهم من ربقة الاسـتعمار الأجنبى؟، بيد أن هذه الثـورة العظيمة ثورة ٢٥ يناير اندلعت ضد (الاستعمار الداخلى) الذى أناخ على مصر بكلكله فلم يترك لها حولا ولا طولا عبر ليل طويل بطئ الكواكب ألقى بظلاله وظلامه على حاضرها ومستقبلها وكاد أن يفقدها ذاكرتها.. والذاكرة هى مستودع الفكر الإنسانى.. وكما قالت المفكرة الإنجليزية «إلين ودنج»

عالمة الفيزياء: «إن الموت يهون أمام فقدان الذاكرة» وكاد اليأس أن يستبد بالمصريين جميعا الذين أمسوا غير قادرين على اليأس أكثر مما يأسوا.. وانبلج الفجر فمادت الأرض من تحت أقدام الطغاة وكشف الله أمر البغاة الذين عاثوا فى أرض مصر نهبا وسلبا وغشا وطغيانا.

هنيئا لمصر بثورتها.. ورحمة الله على شهدائنا الأبرار الذين وهبوا حياتهم فداء لبلادهم.. ونصرة لوطنهم.

❑❑❑

obeikandl.com

جلال القضاء ..

القصة تبدأ عندما دخل أستاذ جامعي ليحاضر تلاميذه في إحدى الكليات، كعادته.

وإذا بهم يرونه وقد ترك موضوع الدرس ضاربا به صفحا ليهاجم مقالا قرأه في إحدى الصحف يشكو فيه كاتبه من تأخر الفصل في القضايا، فأهاب الأستاذ بوزارة العدل أن تعمل على تدارك ذلك بزيادة عدد رجال القضاء.. ثم يهاجم القضاة أنفسهم!!.

فهل يصح هذا من أستاذ جامعي جدير به أن ينصرف إلى عمله وألا يتعدى حدود مهنته؟!.

إن قضاء مصر هو الدرع الواقي لأمجاد هذه الأمة ومقدساتها وإن مصر تزهو به على العالمين.

وأين ما قاله هذا الأستاذ الجامعي من القول القائل: «فتش عن الرجل تحت وسام الدولة فلن يصنع الوسام منه قاضيا ما لم يكن يحمل بين جنبيه نفس القاضي وعزة القاضي وكرامة القاضي وغضبة القاضي للحق دائما؟».

إن قضاتنا من خيرة قضاة الأرض في أنفتهم وعزتهم وزهدهم في الحياة الدنيا، ولعل الأستاذ الجامعي يهدئ من ثائرته إذا علم رأى بعض كبار الأساتذة الأجانب في قضاتنا، وقد رأوهم عن كثب، بعيدا عن التهويل والتهليل.. ونحن نهدي إليه كلمة قالها زميل له بإحدى جامعات روما وهو الدكتور «بيرو كالمندارى» عميد إحدى الكليات هناك:

«ألا ما أشبه القاضي «المصرى» بالعامل في مناجم الماس حين يقوده عمله إلى فرص الثراء الفاحش فلا تمتد يده إلى ما تستطيع قطعة صغيرة منه أن تؤمن حياته وحياة أسرته.. ولكنه يقنع بأداء واجبه وراحة ضميره. فتمسك اليد الخشنة التي كانت تلعب بالماس لعبا قطعة الخبز الجاف تدفع بها غائلة الجوع راضية هانئة..».

ترى.. من هذا الأستاذ الجامعي؟!.

❑❑❑

وجيش مصر العظيم .. كذلك يستحقها .. ؟!

الثـورة المصرية حققت أملا مصريـا.. وأصبحت رمزا قوميا عربيا.. وأضحت نبراسـا عالميـا، فثـورة ٢٥ يناير أول ثـورة فى العالم لا تحمل المدافع والرشاشـات وإنما تتقدمها حرصا على أمنها وسـلامتها الدبابات.. تعقبت عهدا ظالما حتى باد.. فأصبحت مصر فى يد شـعبها بعد أن كانت فى قبضة كل من هب ودب.. ملكا مباحا مسـتباحا يغترف من خيراتها ذوى الذمة الخربة من الخائنين.. فمافتئ الكل فى حق الحياة سواء وتعانق الهلال مع الصليب فى مودة وإخاء.. ويممت شـعوب الأرض من كل البقاع والأصقاع نظرها إليها بكل تقدير وإعجاب.. بعد أن صحا المارد من نومته.. تهابه الحراب؟!.

كان جيشـها الوطنى العظيم سـياجها، وضباطه وجنوده أمنهـا، يدفع عنها كل ذى خطـر. يزود عن حماها.. ويقف بالمرصاد لمن عداها.. بعقد بينه وبين الشـعب وعهد بينه وبـين الله، فحال بين العزل من الأبرياء وداس بقدمه على (الدوجما) الهمج الأغبياء الذين تسلحوا بسلاح الغدر والخيانة بخيولهم وجمالهم مذكرين إيانا بعصر الجاهلية فى محاولة يائسـة منهم لوقف مد شـباب الثورة ووئدها فى مهدها – ولكن هيهات هيهات!.. فلقد وقف جيش مصر كالجبل الأشـم يحتضن الثورة فى عينيه.. وشـاء الله أن يُمن على الذين اسـتُضعفوا فى الأرض ويجعلهـم أئمة ويجعلهم الوارثين.. بعـد أن تحقق وعد الله العلى الناصر لكل مظلوم بأنه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الحج – الآية ٣٩].

إن هذا الجيش الباسـل النبيل وعلى رأسه مجلسه الأعلى وقائده المشير «محمد حسين طنطاوى» لن ينسى له التاريخ إنه ذهب إلى الرئيس السابق محمد حسنى مبارك وقال له: «إننى بمثابة ابنك.. تنح حقنا للدماء.. وتنحى الرئيس».

وهكـذا كان الجيـش المصرى على مر العصور والدهور جيشـا وطنيـا أبيا يصون الديار ويحمى الزمار.. فهل ينسـى التاريخ اليوم التاسـع من سـبتمبر عام ١٨٨١ عندما تصدى للخديـو الخائن توفيق الذى تحالف مـع الإنجليز ضد مصر فجأر فى وجهه القبيح جيش مصر وعلى رأسه الزعيم «أحمد عرابى» صارخا فى وجه: «لقد خلقنا الله أحرارا ولم نخلق

تراثا ولا عقارا.. فو الله الذى لا إله إلا هو إننا لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم».. واعتبر المؤرخون هذا اليوم أعظم يوم فى تاريخ القومية المصرية.. ولم يكن جيش مصر الوطنى الآن – إلا معبرا عن تاريخه العريق الضارب فى القدم.. فلطالما رفع راية الحق منحازا للشعب مثبتا أنه ليس ملكا لأحد وإنما هو ملك للشعب وحده. فلن يسمح التاريخ بتكرار مثل هذا المرسوم الذى نشرته الدليل المصرى [Moniteur Egiptien] والذى اتخذه الخديو محمد توفيق بحل الجيش المصرى عقابا له على تضامنه مع الزعيم أحمد عرابى كذلك لن يكرر التاريخ وجود مثل الخائن محمد سلطان باشا الذى اغتال الجيش المصرى بموقفه الوطنى خلال الثورة العرابية، والذى تحالف مع الإنجليز ضد وطنه وسمح له بولوج البلاد. حتى حياه المؤرخون وكتب عنه الكاتبون يتبارون فى تمجيده والإشادة به.

يقول «سريو» فى كتابه مصر الحديثة إن كفاءة الجندى المصرى وما اشتهر به من الثبات والشجاعة قد قامت عليه حضارة مصر.. ويقول المرشال «مارمون»: إن الجندى المصرى له حظ عظيم من المقدرة تبلغ درجة النبوغ.. ويقول البارون «موالكتونب»: إن المصريين هم خير من رأيتهم من الجنود..

لقد رشح الرئيس النمساوى «هاينز فيشر» المصريين لنيل جائزة نوبل للسلا قائلا: إنهم أروع شعب على الأرض ويستحقون جائزة نوبل للسلام.. وكما قرأنا فى جريدة «المصرى اليوم» ونحن نضيف والجيش المصرى أيضا يستحق هذه الجائزة فلقد حمى ثورة الخامس والعشرين من يناير، فاستتب لمصر وللعالم كله السلام بحسبان أن مصر هى (بؤرة العالم)، حماها.. ليس بالبأس والصولجان.. ولكن بوطنيته الصادقة وقوة الإيمان.

❑❑❑

حق الجار على جاره ..

حـق الجـار حق مقدس حرصـت عليه جميع الأديان سـواء الأديـان الكتابية أو غير الكتابية.

ففـى «مصر القديمـة أو العتيقة» نقرأ فـى أدب الفراعنة لأحد الحكمـاء فى وصية له لإبنه «حافظ على جارك، وعامله كأخ لك» إن كان جائعا فاعطه له من خبزك وأطعمه من طعامك، وإن كان مريضا، فعُده، وإن غاب فاسئل عنه، وإن حقد عليك فاجلس على حفة النهر حتى يأتى لك التيار بجثته!.

وفى الأدب الصينى نقرأ: «عامل جارك بأدب» .. ثم نقرأ أيضا: «إن كان جارك سيئا فاصبر عليه حتى يرحل».

وفى الديانة «البوذية التى بشـر بها [البوذا جوتاما] قبل ميلاد السـيد المسـيح – عليه السـلام، بحوالى خمسة قرون دعت البوذية إلى التوسـط فى أمور الحياة الثمانية»، وهى: «الفهم، والعزم، والكلام، والسـلوك، والمعيشـة، والعمل، والتأمـل، والفرح».. والمقصود بالفـرح هنا هو «الفرح الصادق» الذى يتاح للإنسـان فيبلـغ به الملكوت.. ويدخل فيه فرح الإنسان «لجاره».. كما يفرح لنفسه.

وجاءت الديانة الفارسـية التى علم فيها الفيلسـوف (زراد شـت) الناس حب الخير. وجعل الخير المحض من صفات الله، وبشر بالثواب، وأنذر بالعقاب ودعا إلى محبة الناس بعضهـم لبعض ومنها حب الجار لجاره والصديـق لصديقه ومن المأثور عنه قوله: « رب! هب لى عونك، كما يعين الصديق أخلص صديق».

أمـا «الحضـارة البابيلية» التى هـى من أقدم الحضارات فحرمـت الاعتداء على الأخ أو الصديق أو الجار..».. «فمن اجتزأ على فعل المحرم.. تجزيه الآلهة، على ذنبه بالوبال.. والمرض العضال.. فإن لم يكن جزاؤه مرضا فهو خسـارة فى المال أو البنين»، وهكذا كانت أيضا الثقافة اليونانية وفلاسـفتها العظام سـقراط و أفلاطون وأرسطو الذين دعوا إلى محبة الخلق كل الخلق بعضهم لبعض.

ونزلت الديانة اليهودية لتدعو كما قال (هوشـع النبى) ،تدعو إلى الحب ومنها حب الجار.. «لأن خلائق العدل والحق والإحسان والمراحم هى خلائق الأبرار».

وبشـر «السيد المسيح» – عليه السلام – بالديانة المسيحية التى قامت على الحب فالله محبة.. ومن يحب الله يحب الناس جميعا ومن أقواله – عليه السلام – سمعتم أنه قيل: «تحبُّ قريبك وتبغض عَدُوَّك. وأما أنا فأقول لكم أَحِبُّوا أعداءَكم. باركوا لاعنيكم. أحسـنوا إلى مُبغِضيكم. وصلوا لأجل الذين يسـيئُون إليكم ويطردونكم. لكى تكونوا أبناءَ أبيكم الذى فى السماوات. فإنه يشرق شمسهُ على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين. لأنهُ إن أحببتم الذين يحبونكم فأيُّ أجرٍ لكم. أليس العَشَّارون أيضًا يفعلون ذلك. وإن سلَّمتم على إخوتكـم فقط فأيَّ فضل تصنعون. أليس العَشَّـارون أيضًا يفعلون هكذا. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل».

محبة الإنسان لأخيه الإنسان ومنها بالقطع حب الجار.. فالطهر.. كل الطهر فى نقاء الضمـير.. فمناط الغير كله فيه، ومرجع اليقين كله إليه «فليس شـئ من خارج الإنسـان يدنسـه بل ما يخرج من الإنسـان هو الذى يدنس الإنسـان».. فإذا بذلت الصدقة لأخيك أو لصديقـك أو لجارك فلا تتباهى بالإحسـان.. «فأبوك الذى يراك فى الخفاء يجزيك فى العلانية».

وأشرقت شمس الإسلام وجاءت آيات الله البينات لتوضح وتؤكد ذلك.

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة النساء – الآية ٣٦].

فى هذه الآية الكريمة، بين الله – سبحانه وتعالى – أنواع الجيران فهناك جار قريب.. من ذوى القربى، وهناك جار ملاصق فى السـكن، وهناك الجار المؤقت وهو المصاحب فى الطريق، وأوجب الإسلام الإحسان إلى الجميع.

وقد أكدت الآية الكريمة فى نهايتها أن الإساءة وعدم الإحسان إلى الجار لا يصدر إلا من إنسان مختال كفور، قد امتلأ قلبه بالاعتلاء والكبر.

وها هو ذا رسول الله عليه الصلاة والسلام يحذر من إيذاء الجار فقال – صلى الله عليه وسلم: «والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن».

قيل: من يا رسول الله؟.. قال: «الذى لا يأمن جاره بوائقه».

وقد جاء رجل إلى النبى – صلى الله عليه وسلم –، وقال: يا رسول الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتهها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسـانها فقال – صلى الله

عليه وسلم: «هى فى النار. فالإسلام دين الإنسانية قد أوجب عليها الإحسان حتى إلى الجار الغير مسلم. فالمسلم من سلم من الناس من لسانه ويده».

وأوصى الإسلام بالجار وقنن حقوقه بما يدل على قداسة حق الجار فى الإسلام. وكيف لا ؟ وهو العصا التى يتؤكأ عليها.. وهو نجدته عند الشدة وأقرب الأقربين له عند الحاجة، وعونه عند الخطوب. فالإنسان عبد الإحسان.. قال الشاعر: «لطالما استعبد الإنسان إحسان»، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام، «جبلت النفوس على حب من أحسن إليها».

من نافلة القول أن نقول إن السلف الصالح دأب على إكرام الجار والمحافظة عليه فكان لا يشبع إلا إذا شبع جاره ولا يسكن إلا إذا سكن، كما كان يعود جاره إذا اعتوره مرض ويسأل عنه إذا غاب، وإذا نزلت به النوازل أعانه على نوازله، واحترم عواطفه، فلا يفرح إذا كان حزينا و لا يكتسى إن كان عريانا، وإلا كساه. ولذا كان الرجل العربى يتباهى بأن جاره عزيز بعزته، وغنى بثروته.

وفى الأثر ورد «ما ضرنا أنَّا قليل وجارنا: عزيز، وجار الأكثرين، ذليل».

كان العرب الأقدمون، يتباهون بأن إكرام الجار من المفاخر العظيمة والمأثر المجيدة، وقد سجل التاريخ أن الحارث بن عمرو نزلت به نازلة من نوازل الدهر ومصيبة من مصائب الأيام أضطر معها أن يبيع داره ليسدد ما عليه من ديون.. فقال له المشترى: إن دارك لا تساوى أكثر من خمسين دينارا. فقال له الحارث: وبكم تشترى جوار سعيد بن العاص؟!. فقال المشترى: والله ما رأيت قبل اليوم جوارا يباع، ومن هو سعيد هذا الذى تتبع جواره؟. أجابه الحارث: ذلك الذى إذا مرضت عادانى وإذا سألته أعطانى وإن أعسرت مد لى يد المعونة. يُعيذنى فى النوائب ويساعدنى فى المصائب ويواسينى فى الهموم والأحزان. ولما وصل الخبر إلى «سعيد»، جاء مسرعا، والحديث لما يزل قائما – بين المشترى، والحارث فقال للحارث: أمسك عليك جارك ولا تبع دارك، بقليل أو كثير، وكل ما عليك من دين، أو حوائج، فهو إلى، وعلى. وهكذا كانت النخوة العربية الإسلامية.

ومن هنا جاءت الحكمة: «خذ الجار قبل الدار».

ونُقلت إلينا المأثورة: «خذ الرفيق قبل الطريق"».

قد قال عليه الصلاة والسلام: «اتق المحارم تكن عبد الناس وأحسن إلى جارك تكن مسلما وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مؤمنا».

وقد جاء رجل إلى الرسول – عليه السلام – يشكو إليه من سوء خلق جاره، ومعاملته. فقال له النبى: اذهب وأخرج متاعك وبعثره على قارعة الطريق، فإذا سألك الناس لماذا أخرجت متاعك من دارك، وألقيته هكذا، فقل لهم: إن لى جارا يؤذينى. ففعل الرجل ما أمره به الرسول، فلعن كل ماشٍ ذلك الجار، وما يزال الناس يلعنونه حتى ذهب هذا الجار إلى الرسول، معتذرا لجاره.

وقد حرص الرسول – عليه الصلاة والسلام – على حقوق الجار فقال عليه الصلاة والسلام «ليس منا من بات شبعانا وجاره يتضور جوعا، وهو يعلم».

وقال أيضا: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره.

وقال أيضا: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لأصحابه، وخير الجيران عندالله، خيرهم لجاره».

وقد بين الرسول أن الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو الجار المشرك، وجاره له حقان وهو الجار المسلم ذو الرحم.

ثم تعالوا معى لتمعن النظر، ونمعن الفكر فى هذا الحديث الشريف الذى جاء بمثابة مذكرة تفسيره – بلغة أهل القانون – حينما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أتعلمون ماحق الجار؟.. قالوا وما حق الجار يارسول الله ؟ فأجاب عليه السلام.

«ان استغاث بك أغثته.. وإن استقرضك أقرضته.. وإن مرض عدته.. وإن مات شيعت جنازته.. وإن أصابه خير هنأته.. وإن أصابته مصيبة عزيته.. ولا تستطل عليه بالبناء، فتحجز عنه الريح، الإبإذنه.. وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه».

وهاهو ذا التاريخ يسجل فى أنصع صفحاته كيف حرص المسلمون الصالحون على إحترام الجار وصون حقوقه، فقد جاء أحدهما يشكو إلى أخيه كثرة الفئران. فقال له: لو اقتنيت – هذا – وأشار إلى قط – لتقضى عليها. فرد عليه قائلا: أخشى أن يسمع الفأر صوت القط فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أسأت إليهم؟!.

وقد روى أن الإمام أبا حنيفة كان له جار يُصلح الأحذية يبيت الليل يعاقر بنت الحان «الخمر» ثم يدق الأحذية ويغنى بصوت عال كريه..

وكان الإمام أبو حنيفة يصبر على هذا الأذى، ويتحمل سلوك جاره سيئ الخلق، وفى يوم ما قبض العسس على هذا الرجل وسيق إلى غياهب الجب، ولما افتقد الإمام أبو حنيفة

صوته سأل عنه، فعلم ما حدث له.. فما كان منه إلا أن ذهب إلى الأمير وتشفع له عنده، حتى أخرجه من السجن، وأخذ الإمام بيده، فخجل الرجل أشد الخجل، وتاب على يد الإمام، وحسن إسلامه وصح حاله.

ومن مفاخر ما حكى عنه التاريخ فى حسن معاملة المسلم لجاره ما حكى عن بن عمر رضى الله عنهما إذ كان له جار يهودى فكان إذا ذبح الشاه يقول: احملوا إلى جارنا اليهودى منها.

وقد ورد فى المأثورات أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول، يارب سَل هذا، لما منعنى معروفه وأغلق عنى بابه، وفى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد سِأله رجل، دلنى على عمل يا رسول الله إذا عملت به دخلت الجنة فقال عليه الصلاة والسلام: «كن محسناً»، فقال الرسول، وكيف أعرف أنى محسن؟ فأجابه: سل جيرانك فإن قالوا إنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا إنك مسيئ فأنت مسئ».

وقد جاء فى الطبرانى من حديث المقداد بن الأسود «لأن يسرق الرجل من عشرة بيوت، أيسر من أن يسرق من بيت جاره، ولأن يزنى بعشرة نسوة أيسر من أن يزنى بامرأة جاره».

ومما يحكى عن حسن معاملة الجار. ما روى من أن سهل بن عبد الله التسترى كان له جار مجوسى، وكانت القاذورات تسقط من فوق هذا الجار المجوسى فى دار سهل بن عبد الله، فكان سهل رضى الله عنه يجمع تلك القاذورات فى مِكتل عنده، كل يوم، ويلقيها بعيدا، دون أن يعاتبه، ولما حانت منية «سهل» استدعى جاره المجوسى وذلك بعد أن أبصر جاره المكتل المليئ بقاذوراته فسأله: ماهذا؟ قال له: هذا مايسقط من دارك على وأنا أتلقاه بالنهار وأجمعه ليلا، ولولا أنه قد واتانى أجلى، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق لغيرى، فيؤذيك، ما استدعيتك فما كان من جاره إلا أن قال له: أيها الشيخ أنت تعاملنى هذه المعاملة منذ زمن طويل وأنا مقيم على كفرى.. مُد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله.

هذا هو حق الجار فى الإسلام. حق مقدس تأثر به القاصى والدانى، وتأثر به الأدب الشعبى حتى نطقت به الأمثال التى جاء فيها:

اختار الجار قبل الدار.

النبى وصى على سابع جار.
إن كان جارك فى خير افرح له.
أطلب لجارك الخير، إن مانلت منه، تكتفى شره.
«الجار أولى بالشفعة» «مبدأ قانونى معمول به كحق الإرث».
الجار جار، وإن جار.
جارك قدامك ووراك، إن ماشاف وشك يشوف قفاك؟!.
قبل ما أقول يا أهلى يكون جيرانى غاتونى.
ربك وجارك أعلم بحالك.
لولا جارتى لانفقعت مرارتى.
من جاور السعيد يسعد.
غير من جارك ولا تحسده.
يا جار الدهر، احزن لى شهر.
الجار للجار ستر وغطا.

وهل ثمة أعظم حديثا.. من قول رسول الله عليه الصلاة والسلام حين قال: «ظل جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، وهكذا يثبت الإسلام أنه دين المبادئ.. وأنه دين الحق.

فمحبة الجار لجاره أمر إلهى، وسنة شريفة يجب أن نحرص عليها كل الحرص، وأن نعض عليها بالنواجز.

❑❑❑

من قاض مصرى.. إلى الرئيس أوباما..

غـاص المصريون بخيالهـم إلى أغوار الماضى وهـم ينصتون بقلوبهـم إلى الرئيس أوباما وتعلقـت به عقولهم وسـرحت معه من خـلال خطابه الصافى الضافـى، الذى وجهه من خلال منبر جامعة القاهرة إليهم وإلى العالم الإسلامى بل إلى قاطنى المعمورة فى شتى البقاع والأصقاع ومس شغاف قلوب المسلمين استشهاده الصائب بآيات من القرآن الكريم تدعو إلى التسامح وإلى قبول الآخر وإلى العيش فى سلام ووئام.

وفى مثل هذا الشهر يونيو عام ١٩٦٣ قال الرئيس كيندى.. وهو بصدد مخاطبته للشعب الأمريكى: «إننا نواجه مشكلة أخلاقية قديمة قدم الكتاب المقدس وواضحة وضوح الدستور الأمريكى.. ألا وهى الاعتراف بحقوق الآخرين..».

كان كينـدى يقصد بكلمته هذه محاربة العنصرية التى ضربت جنبات البيت الأمريكى وباتت تتهدد الأمة الأمريكية فى صميمها وفى سويداء قلبها؟!.

ويقص علينا «مارتن لوثر كينج» الشـهيد الزنجى الأمريكى الذى اغتيل على يد الرجل الأبيـض لقـاء دفاعه عن حقوق السـود – فى أمريـكا الذين جلبوا إلى أمريـكا من القارة الأفريقية كعبيد أرقاء حيث كان الإنسان يباع ويشترى، كما يعامل الحيوان؟!. وفى ظلمة الليل البهيم.

ولعل قصة كفاح الزنوج فى أمريكا لن تطوى من كتب التاريخ، ولا من مدونات الفكر، فقـد عـاش الزنوج تحت ربقة إحتلال البيض لهم، وتكبيلهم فى إسـار الظلم مسـتعبدين إياهم، بحيل الداهية، وبقوة الطاغية الذى صدر فى غيه، يتفنن أناء الليل وأطراف النهار فى إذاقة كل زنجى العذابات ألوانا، ومن صنوف الذل والمهانة وصالا، فكان محظورا عليه أن يتعلـم القراءة والكتابة بمقتضى قانون جائر ثابت فى السـجلات الرسمية والحكومية، وكان الزنجى إذا شـك أو تألم فالعقاب الوبيل له يتراوح بين التشـويه الجسـمانى إلى حد القتل حتى بات كل زنجى يتمنى ألا يقوم من سـباته؟ فمنذ لحظة مولده فى المستشـفيات المتدنية والمقصورة على السـود دون سـواهم ينتهى به المطاف إلى مقابر السـود.. وما فتىء العنصرى الأبيض يردد مؤكدا أن الزنجى أى زنجى راضٍ عن حياته، ومصيره. فليس فى الإمكان أبدع مما كان؟!.

وطفق الزنوج يبحثون كيف السبيل إلى الخروج من هذا النفق المظلم .. فالجميع «أذن طين وأخرى من عجين» ؟!.. فلا أحد يجيب أو يستجيب؟!.

وما إن أهَّل صيف عام ١٩٦٣ حتى كان الزنوج قد جيشوا جيوشهم ونظموا صفوفهم ومضوا قدما تحت لواء النضال السلمى للمجاهرة بحقوقهم، وكان من بينهم ـ آنذاك ـ العاجز، والمشوه، والضرير، فأضحت السلطات الأمريكية ـ وعلى حد تعبير «لوثر كنج» أشبه ما تكون بالسجين الهارب الذى وقع تحت شعاع نور كاشف بل وفاضح ـ أيضا مما فت فى عضد هاتيك السلطات التى أصبحت حبيسة أمام هذا النور الذى كشف الحقيقة العارية أمام أنظار العالم كله.

ومع أن الولايات المتحدة الأمريكية ما اشرأبت قامتها وسمقت هامتها إلا بفضل هؤلاء الزنوج الذين كانوا يعملون فى شتى المناحى ومختلف الأعمال التى تنوء بها كواهل البيض.

سيادة الرئيس الأمريكى : يتوجه إليكم قاضٍ مصرى وأنت خريج الحقوق من جامعة هارفرد أعرق الجامعات فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد درستم القانون، وأصبح يسرى كأى دارس له فى دمائه وأفكاره أن تعمل بما درست وأن تحق الحق فالقانون إنما وضع لكى يفرق بين الغث والثمين ويمحص الحق من الباطل ويعطى لكل ذى حق حقه، وأن تعمل جاهدا ومخلصا على أن تيمم وجهك شطر الأرض المغصوبة من الفلسطينين وأن تجاهد فى سبيل عودة الديار المسلوبة إلى ذويها وأهلها.

فإن المهمة التى ألقاها الله على كاهلك هى أن تعمل فى سبيل إنصاف الفلسطينين من الصهاينة المتجبرين والذين عاثوا فى أرضهم السليبة فسادا وإفسادا ضاربين كل المبادئ والقيم التى قننتها المبادئ الخلقية للمسيحية والإسلام.

وسلام الله عليك.

❑❑❑